عن مبدأ نشأته وأسبابه، وما يثبت به، وهذا ما سنحاول بيانه في المباحث الآتية:

المبحث الثاني: في نشأة الوضع في الحديث ومتى بدأ:

من أهم التعاليم التي جاء بها رسول اللهﷺ الى أصحابه، وعودهم عليها، وأكد عليهم التمسك بها، ولم يتساهل في الاخلال بها. الصدق، فقد عرفﷺ أنه كان يتحلى بالصدق ويتحراه، ويتصف به، وبلغ من التحلي به أن سمي قبل الرسالة بالصادق الأمين، وكذلك رغبﷺ أصحابه في الصدق وحذرهم من الكذب حتى جعل الصدق من علامات الايمان، والكذب من علامات النفاق. فقد جاء عنهﷺ أنه قال: أربع من كن فيه فهو منافق خالص، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر[1]، وفي رواية: آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان[2] كما أنه علمهم أن المؤمن قد يجبل على بعض الخلال المشينة إلا الكذب فلا يتصف به المؤمن، فقد روى صفوانبن سليم أنه قال: قيل لرسول اللهﷺ، أيكون المؤمن جبانا قال: «نعم»، فقيل: أيكون بخيلا؟ قال: «نعم»، فقيل: أيكون المؤمن كذابا، قال: «لا»[3].

كل هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي جاءت عنهﷺ محذرا فيها من الكذب مطلقا جعلت الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون الصدق في أقوالهم وأفعالهم، وحيث أن النبيﷺ هو الأسوة التي يتأسى بها والقدوة التي يقتدى بها، وأنّ

---

(١) الحديث أخرجه خ الايمان، باب علامة المنافق ١: ١٥، م الايمان: باب بيان خصال المنافق حديث رقم ٥٨، ط. الكلام. باب ما جاء في الصدق من قول ابن مسعود. ؟ د. السنة. باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه حديث رقم ٤٦٨٨، ت. الايمان، باب ما جاء في علامة المنافق حديث رقم ٢٦٣٢، ن، الايمان علامة المنافق ٨: ١١٦، جه مقدمة حم ١: ٣٨٤، ٤٠٥، ٤٣٢.

(٢) خ الايمان. باب علامة المنافق ١: ١٥، م الايمان باب بيان خصال المنافق حديث رقم ٥٩ ت. الايمان باب ما جاء في علامة المنافق حديث رقم ٢٦٣١ ن الايمان. علامة المنافق ٨: ١١٧، حم ٢: ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٠، ٣٥٧، ٥٣٦.

(٣) الحديث أخرجه ط. الكلام باب ما جاء في الصدق والكذب.

كل ما يصدر عنه أمر مطلوب فيه التأسي والاتباع، فقد حرص على أن يبلغ ذلك عنه، يتناقله جيل بعد جيل ولذا حضهمﷺ على التبليغ عنه كقولهﷺ : «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[1]، ونحوه قولهﷺ «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع»[2].

وخشية من أن يتجرأ شخص ما على رسول اللهﷺ فيقول ما لم يقل أو يكذب عليه، حذر الأمة من الكذب عليه، وبين العقوبة المعدة لمن يتعمد الكذب عليه فقال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[3]. بل لم يكتف بإظهار مجرد العقوبة، وإنما نبههم إلى أن الكذب عليهﷺ يختلف عن الكذب على غيره، لما يترتب على الكذب عليه من مفسدة تعم بها البلوى، ولما يلحق بالاسلام من انتقاص وتناقض هو منهما براء، بخلاف الكذب على غيره، فقد جاء قولهﷺ : « أن كذبا علي ليس ككذب على أحد . . »[4] الحديث.

لكل هذا عاش الرعيل الأول من أصحاب رسول اللهﷺ، وهم مجانبون للكذب هاجرون له، ولم يثبت أن أحدا منهم تجرأ عليه بكذب. ولما لحق رسول اللهﷺ بالرفيق الأعلى، واجتمع الناس على أبي بكر، أحكم أمر الناس في القرآن، إذ جمع المصحف، ووضع الأسس الحصينة لصيانة حديث رسول اللهﷺ من أن يتطرق إليه ما ليس منه مما قد يهم به البعض أو يخطىء، فكان رضي الله عنه لا يكتفي بقبول الرواية عن واحد من أصحاب رسول اللهﷺ مع تصديقه لهم، وانما كان يطلب شاهداً ومؤيداً، إذ باجتماعهما يرتفع احتمال الوهم والخطأ فضلاً عن التخرص والكذب.

---

(١) الحديث أخرجه خ. العلم. باب رقم ٩، ١٠، ٣٧، م حج، القسامة، د: التطوع ١٠ ت. الحج. ن الحج: جـه مقدمة.

(٢) الحديث أخرجه ت. العلم. باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع حديث رقم ٢٦٥٧، ٢٦٥٨، جـه المقدمة باب من بلغ علما حديث رقم ٢٣٢، ابن حبان حديث رقم: ٦٥، ٦٧، ٦٨، حـم ١: ٤٣٧.

(٣) سبقت الاشارة إلى تخريجه انظر صفحة ١٢ جـ ١.

(٤) م. مقدمة. باب تغليظ الكذب على رسول اللهﷺ حديث رقم ٤.

وسار الفاروق رضي الله عنه على نهج سلفه أبي بكر رضي الله عنه وزاد في الاحتياط والحذر، فكم من صحابي روّع وهو لا يتهمه، كما صرح بذلك[1] إلا أن الدافع لذلك هو صيانة حديث رسول اللهﷺ من أن يتطرق إليه شك، أو يختلط به غيره، وأسلمت روح عمر رضي الله عنه لربها وقد عظم في الناس أمر حديث رسول اللهﷺ، وسار عثمان رضي الله عنه على ما سار عليه صاحباه وأخذ أصحاب رسول اللهﷺ يعلمون من عايشهم ممن لم ير رسول اللهﷺ، ويربونهم على الصدق، ويحذرونهم من الكذب وعاقبته، وخاصة ما كان منه على رسول اللهﷺ وهكذا عاش الجيل الأول من التابعين محاذرا للكذب مجانبا له، لا يلوي على شيء مما يروى تحرصا وكذبا، إلى أن وقعت الفتنة الكبرى، وتفرق المسلمون شيعا وأحزابا، كل يرى الحق معه، والصواب بجانبه. كما أنه اندس في تلك الحقبة جماعة يكيدون للاسلام فانضموا تحت لوائه، وتستروا بمسوحه أذكوا نار الفتنة، وأخذوا يتصيدون في الماء العكر رغبة في السيادة وإكمالا لمركب النقص الذي اعتراهم عقب سقوط دولهم ومملكاتهم. ونتيجة لذلك الخلاف فقد بدأ أفراد الفرق الاسلامية لا يثق بعضهم في بعض، بل يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضا، فهرعوا الى القرآن يبحثون فيه عما يؤيد مذاهبهم وأهواءهم إما صراحة أو تحميلا، ولما أعياهم أن يجدوا في القرآن ماينشدون، يمموا شطر السنة رغبة في الحصول على أربهم وأنّ لهم ذلك، وهي والقرآن صنوان، ولما أعيتهم السنة الصحيحة أن يجدوا فيها ما يبحثون عنه وضاقت نفوسهم ذرعا أن يحصلوا على ما يطلبون، انقدح في زناد عقول الفاسقين منهم التقول على رسول اللهﷺ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فانغمسوا في

---

(١) كما جاء عنه ذلك في قصة أبي موسى رضي الله عنه، فقد روى أبو داود بسنده عن أبي سعيد قال: كنت جالسا في مجلس من مجالس الانصار فجاء أبو موسى فزعا فقلنا له: ما أفزعك؟ قال: أمرني عمر أن آتيه فأتيته فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، فرجعت فقال: ما منعك أن تأتيني قلت: قد جئت فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي، وقد قال رسول اللهﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع، قال: لتأتين على هذا بالبينة، قال فقال أبو سعيد: لا يقوم معك إلا أصغر القوم، قال: فقام أبو سعيد معه فشهد له اهـ. د. الأدب، باب كيف الاستئذان حديث رقم ٥١٨٠ وفي رواية فقال عمر لأبي موسى: أما أني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول اللهﷺ، وفي رواية: فقال عمر لأبي موسى: أني لم أتهمك، ولكن الحديث عن رسول اللهﷺ شديد اهـ. د. الأدب حديث رقم ٥١٨٤، ٥١٨٣.

الكذب إلى أطراف آذانهم وما رعوا لرسول الله ﷺ حرمة، فكانت بداية الوضع في الحديث في تلك الحقبة من الزمان.

وفي الحقيقة إن كتب التاريخ الحريصة على تدوين كل واقعة جليلة كانت أو دقيقة، عظيمة أو حقيرة، لم تسجل لنا حادثة معينة نستطيع أن نحدد بها بداية الوضع في الحديث، وكل ما جاء من ذلك أمور عامة تشير إلى أن بعض الصحابة ممن تأخرت بهم الوفاة، وكذلك كبار التابعين بدأوا يتوقفون عن قبول كل حديث يروى، أو قبول رواية كل من قال، قال رسول الله ﷺ إذ الثقة بالرواة بدأت تتزعزع، فقد أخرج الامام مسلم بسنده إلى مجاهد قال: جاء بشيرين كعب العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول، قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[1].

وجاء في رواية أخرى تصرح بأن ابن عباس لم يطعن في بشيرين كعب، بل قبل منه ما يعرفه وردّ ما لم يعرفه، إذ لم يثق فيما لم يعرف[2].

فقد روى مسلم بسنده إلى طاوس قال: جاء هذا إلى ابن عباس -يعني بشيرين كعب- فجعل يحدثه فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له ثم حدثه فقال له: عد لحديث كذا وكذا، فعاد فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا، أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: «إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه»[3].

---

(١) م. مقدمة. باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ١: ١٣.

(٢) وظاهر أنّ ابن عباس إنما رد بعض روايات بشيرين كعب التي لم يعرفها، لكون بشير أرسلها، ولم يذكر الواسطة بينه وبين رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون الساقط غير ثقة. انظر جامع التحصيل: ٧٠

(٣) م، مقدمة. باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ١: ١٣/١٢.

كما أنه جاء عن ابن سيرين ما يدل على أن علماء الصحابة والتابعين بدأوا يتحفظون فيما يروى عن النبيﷺ بعد قيام الفتنة حيث أخذوا يتأكدون ممن ينقل الحديث ويرويه فإن كان أهلا للتحمل قُبل حديثه وإلا رد، فقد أخرج الامام مسلم بسنده إلى ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الاسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فننظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[1].

فقد نص ابن سيرين على أنه قد جرت العادة على قبول الحديث من أهله قبل وقوع الفتنة وأنه بوقوعها بدأت الريبة تسري إلى قلوب أئمة الحديث فلم يقبلوا الحديث إلا ممن توفرت فيه شروط الرواية[2].

هذه أهم الآثار التي اعتمد عليها كثير من الباحثين والمؤرخين في تحديد بداية الوضع في الحديث، وأنها بدأت بفتنة عثمان رضي الله عنه التي أدت إلى قتله، وبعضهم يرى أن الوضع بدأ بمقتل عثمان رضي الله عنه واختلاف الناس على علي ومعاوية رضي الله عنهما، وما نجم عن ذلك من وجود الخوارج والشيعة وأهل الشام، كل ذلك أدى إلى الوضع في الحديث[3].

---

(١) م. مقدمة. باب بيان أن الاسناد من الدين ١: ١٥.

(٢) وهذا العمل منهم أمر طبيعي فرضه الوقت، وذلك لإدراكهم مكانة السنة من الدين ومنزلتها من التشريع، وهذا يقتضيهم الأخذ بالحيطة والتثبت في قبول كل رواية، ولا يلزم من صنيعهم هذا أن يكون عملهم كرد فعل لوقوع الكذب، أو اكتشافهم له لا سيما وأن لهم سلفا في ذلك من صنيع الشيخين رضي الله عنهما.

(٣) انظر السنة قبل التدوين: ١٨٩، حيث يقول: ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته في هذا القرن لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجري الأول بقليل، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لكثرة الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه ولم يأخذوا بأراجيف الكذابين وأخبار الوضاعين، وهذا إلى أن أسباب الوضع في ذلك القرن لم تكن كثيرة، وكانت الأحاديث الموضوعة تزداد بازدياد البدع والفتن، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم في معزل عنها، اهـ ويقول د. نور الدين العتر: ثم برز فرق الفتنة التي أدت الى قتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وظهرت الفرق وراح المبتدعة تبحث عن مستندات من النصوص تعتمد عليها في كسب أعوان لهم، فعمدوا إلى الوضع في الحديث، فاختلقوا على رسول اللهﷺ ما لم يقل فكان بعد ظهور الوضع في الحديث منذ ذلك الوقت سنة ٤١ هـ اهـ مقدمة علوم الحديث: ٧، ويقول د. أبو شهبه ومما يؤسف له أن دعوته ـ أي عبد الله بن سبأ ـ وجدت آذانا صاغية من بعض الأمة وبخاصة أهل مصر، وقد نجح هذا اليهودي الماكر في إثارة الفتنة التي أطاحت برأس الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، وما أن تولى =

والذي يظهر أن هذه أمور نظرية تفتقر إلى دليل مادي محسوس يثبت به حادثة تبين أن شخصا ما وضع حديثا بعينه في تلك الفترة، حتى يمكن بذلك تحديد بداية الوضع في الحديث بها. أما أن قيام تلك الفرق بعد مقتل عثمان لا يقتضي أن مبتدعي تلك الفرق هم الواضعون الحقيقيون، بل الظاهر من الأمر أن مقلدي وأتباع أصحاب هذه الفرق هم الذين أفرطوا في اثبات تلك النحل بوضعهم الحديث.

وقد حاول بعض الباحثين اثبات بداية الوضع بحوادث ذكرت في كتب التاريخ والرجال استنبطوا منها أن الوضع في الحديث بدأ قبل نهاية النصف الأول من القرن الأول، بل ذهب بعضهم إلى أنه حدث زمن النبوة.

وبعد إمعان النظر فيما ساقوا من حوادث وشواهد استدلوا بها إلى ما ذهبوا إليه، بدا لي والله اعلم أن ما اعتمدوا عليه فيه نظر، لذا فإني أحاول في هذا المبحث أن أعرض هذه الآراء وأناقشها، وأبدي ما ترجح لي والله أعلم.

١- ذهب الاستاذ أحمد أمين إلى أن الوضع حدث زمن النبوة، وأن هناك حادثة كانت السبب في قوله ﷺ. من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، وقوله في ذلك: ويظهر أن هذا الوضع حدث حتى في عهد الرسول، فحديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة

=الخلافة سيدنا علي حتى وجد التركة مثقلة بالخلافات، فقد ناصبه أنصار عثمان العداوة من أول يوم واستفحلت الفتنة، ووقعت حروب طاحنة، فني فيها كثيرون من خيرة المسلمين، وظهرت طائفة أخرى، وهم الخوارج الذين لم يرتضوا التحكيم بين علي ومعاوية، وكانت النهاية أن أطاحت الفتنة بكنا آخر من أركان الاسلام وهو الخليفة الرابع، وأضحت الأمة الاسلامية في فرقة واختلاف ودب إليها داء الأمم قبلها، وتمخضت الفتنة عن شيعة ينتصرون لسيدنا علي، وعثمانية ينتصرون لسيدنا عثمان، وخوارج يعادون الشيعة وغيرهم. ومروانية ينتصرون لمعاوية وبني أمية، وقد استباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيدوا أهواءهم ومذاهبهم بما يقويها، وليس ذلك إلا في الحديث بأنواعه من أحكام وتفسير وسير وغيرها، وكان ذلك حوالي سنة أربعين للهجرة، وما زالت حركة الوضع تسير وتتضخم حتى دخل بسببها على الحديث بلاء غير قليل، وهذا العصر هو ما يعرف بعصر صغار الصحابة وكبار التابعين اهـ الاسرائيليات والموضوعات: ٣٣ / ٣٤.

زوِّر فيها على الرسول ـوبعد وفاتهـﷺ كان الكذب عليه أسهل، وتحقيق الخبر عنه أصعب[1].

٢ـ يرى الدكتور أكرم العمري أن الوضع قد بدأ في النصف الثاني من خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد اعتمد فيما ذهب إليه إلى حادثة أوردها، يقول: وقد حدث في النصف الثاني من خلافة عثمان رضي الله عنه اختلاف وشقاق كبير إذ انقسم البعض على عثمان فاشتعلت الفتنة وأسفرت عن مقتل عثمان ولكن ما أحدثته من تصدع للمجتمع الاسلامي ظل أثره باقيا، فقد ولّدت الأحقاد وأزالت الصفاء من نفوس الكثيرين، ومع ذلك فنحن لا نجد في خلافة عثمان روايات تشير إلى الوضع في الحديث إلا نادرا من ذلك ما حكاه أبو ثور الفهمي قال: قدمت على عثمان، فصعد ابن عديس المنبر وقال: ألا أن عبدالله بن مسعود حدثني أنه سمع رسول اللهﷺ يقول «إلا أن عثمان أضل من عبيدة على بعلها»، فأخبرت عثمان فقال: كذب والله ابن عديس، ما سمعها من ابن مسعود، ولا سمعها ابن مسعود من رسول اللهﷺ قط، فلعل ابن عديس هذا كان أول من وضع في الحديث. وقد حدث ذلك في خلافة عثمان[2].

٣ـ ذهب الشيخ أبو شهبة إلى أن الوضع بدأ حوالي سنة أربعين هجرية يقول: وقد انتهز أعداء الاسلام من المنافقين والزنادقة واليهود سماحة السيد الحيي عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودمائة خلقه فبذروا البذور الأولى للفتنة. فكان ابن سبأ اليهودي الخبيث يطوف في الأقاليم ويؤلب عليه الناس، وقد أخفى هذه السموم التي كان ينفثها تحت ستار التشيع، وحب سيدنا علي وآل البيت الكرام فصار يزعم أن علياً رضي الله عنه ـهو وصي النبيـ والأحق بالخلافة حتى من أبي بكر وعمر ـرضي الله عنهماـ ووضع على النبيﷺ حديثا،

---

(١) فجر الاسلام: ٢٥٨.

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ٥/٤.

لكل نبي وصي، ووصي علي...، وكان ذلك حوالي سنة أربعين للهجرة[1].

٤ـ ويتفق الشيخ أبو زهو مع الشيخ أبي شهبة في تحديد بداية الوضع، إذ يرى أن الوضع بدأ سنة إحدى وأربعين فيقول: ولما أن ولي عثمان رضي الله عنه، ووقعت الفتنة في زمنه، وجد الكذب على رسول اللهﷺ من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أوقد نيران الفتنة وألّب الناس على خليفة المسلمين حتى قتلوه ظلما ثم ولي علي كرم الله وجهه الخلافة، وكان ما كان بينه وبين معاوية في صفين، افترق الناس إلى شيعة،وخوارج وجمهور، كما رأيت، وهنا ظهر الكذب على رسول اللهﷺ، واشتد أمره من الشيعة والخوارج ودعاة بني أمية، لذلك يعتبر العلماء مبدأ ظهور الوضع في الحديث من هذا الوقت سنة إحدى وأربعين هجرية وهذا التحديد، إنما هو لظهور الوضع في الحديث، وإلا فقد وجد الكذب على رسول اللهﷺ قبل ذلك حتى في زمنهﷺ ومن أجل ذلك يقولﷺ «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فما قال النبيﷺ ذلك إلا لحادثة وقعت في عصره كذب عليه فيها[2].

هذه هي أهم الآراء التي ذهب إليها الباحثون في تحديد بداية الوضع، ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ـ بدأ الوضع في حياة رسول اللهﷺ. وكان نتيجة لذلك قوله من كذب عليّ متعمدا... الحديث.

٢ـ بدأ الوضع في الأيام الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه أو في النصف الأخير من خلافته.

٣ـ بدأ الوضع نتيجة للفتنة التي أودت بالخليفتين الثالث والرابع، وكانت سببا في انقسام الأمة الاسلامية شيعا وأحزابا.

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات: ٣٤/٣٢.

(٢) الحديث والمحدثون: ٤٨٠.